

خصائص وأخلاق الأمر والنهي



«... وصاحب الأمر بالمعروف يحتاج أن يكون عالماً بالحلال والحرام، فارغاً من خاصة نفسه، مما يأمرهم به وينهاهم عنه، ناصحاً للخلق، رحيماً لهم، رفيقاً بهم، داعياً لهم باللطف وحسن البيان، عارفاً بتفاوت أخلاقهم، لينزل كلاً بمنزلته، بصيراً بمكر النفس ومكائد الشيطان، صابراً على ما يلحقه، لا يكافئهم بها، ولا يشكو منهم، لا يستعمل الحمية، ولا يغطا لنفسه، مجرداً نيته، مستعيناً به تعالى، ومبتغياً لوجهه، فإن خالفوه وجفوه صبر، وإن وافقوه وقبلوا منه شكر، مفوضاً إلى الله، ناظراً إلى عيبه" (مصباح الشريعة).

إن هذه الرواية المروية في مصباح الشريعة، وبغض النظر عن صحة نسبة هذا الكتاب إلى الإمام الصادق (ع)، فإنها حددت جملة من الأمور التي ينبغي أن يلتفت إليها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يوافق بعضها ما ورد في الروايات حولها وحول آدابها إضافة إلى اشتغالها على ما يرشد العقل إليه منها بعد التأمل، ولعلنا نستطيع إيجازها بما يلي:

- 1- خصائص وآداب علمية تشكل مقدمات نظرية وعلمية ضرورية لأداء الفريضة.
- 2- خصائص وآداب عملية (تتعلق بنفس أداء الفريضة من حيث تصرفات الأمر وحالاته).
- 3- خصائص وآداب سلوكية لها نحو دخالة في تقوية المؤثرية في عملية الأمر والنهي.

1- الخصائص العلمية:

المعرفة الشرعية:

ونقصد بها التفقه بما يتعلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

إذ لو كان الإنسان جاهلاً بأحكام الشريعة من حيث حلالها وحرامها، أو مشتبهاً بذلك لأدى ذلك إلى احتمال أن يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف، وبالتالي فسينتج عن عمله عكس ما هو مطلوب من تشريع هذه الفريضة؛ وفي رواية مصباح الشريعة: "أن يكون عالماً بالحلال والحرام".

معرفة أحكام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

ولا شك أن عموم الجزء السابق من الرواية يرشد إلى هذه الخبيصة، فقد يصادف أن يقع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمعضية يخالف فيها حكماً شرعياً أثناء أدائه لهذه الفريضة، وربما تكون هذه المعصية أعظم عند الله مما يفعله الطرف المقصود بعملية الأمر أو النهي.

العلم بأحوال الأمور:

وهذا من يديهيات أداء هذه الفريضة، حيث إن الناس تختلف طباعهم، وأمزجتهم، كما تختلف عاداتهم وتقاليدهم وأدابهم، وكذلك تختلف مقاماتهم ومستوياتهم العلمية والعقلية، إضافة إلى اختلاف السن من حيث الشباب والشيخوخة بما يفرض تنوعاً ضرورياً في اللغة والأسلوب في التعاطي معهم وقد عبرت الرواية عنه بـ"عارفاً بتفاوت أخلاقهم".

2- الخصائص العملية:

أ- الالتزام بالمعروف وترك المنكر:

قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَذِبٌ مَّكْتُومٌ عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) (الصف/ 2-3).

تشير هذه الآية إلى أثر طبيعي يترتب على أمر الإنسان بما لا يعمل به ونهيه عما لا يتركه من المبعوضة لدى الله وبالتبع لدى الناس، وهذه المبعوضة الحاصلة من رؤية التعارض وعدم الانسجام بين قول الأمر وفعله تشكل معوقاً ومانعاً من موانع تأثير الأمر والنهي وبالتالي ستفتح المجال إلى الشك بالأمور به والمنهي عنه، فكيف يكون خيراً ما يأمر به وهو لا يفعله وكيف يكون شراً ما ينهى عنه وهو يفعله.

وسيؤدي أيضاً إلى تعيير الأمور للأمر على ذلك مما يؤدي إلى توهينه وتوهين العمل والفريضة بالتبع.

وفي رواية أن رجلاً جاء بولده إلى رسول الله (ص) وكان كثير الأكل للتمر لينهاه (ص) عن ذلك فقال الرسول (ص) للرجل:

"إنني اليوم قد أكلت تمراً فجئ به غداً كي لا أتناول التمر فيؤثر كلامي فيه"، ولكن هذا لا يعني أن الذي لا يكون ملتزماً بفعل المعروف وترك المنكر يسقط عنه التكليف بهذه الفريضة أو أن على الإنسان أن يكون ملتزماً بكل المعروف ومنتهياً عن كل المنكر ليجب عليه أداء هذه الفريضة، بل إن وجوب هذه الفريضة لا علاقة له بكل الأمرين، وإنما الحديث عن تأثير العمل لا عن أصل التكليف بالفريضة.

قال بعضهم للنبي (ص): إننا لا نأمر بالمعروف حتى نعمل به كله ولا ننهي عن المنكر حتى ننتهي عنه كله فقال (ص): "لا بل مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به كله وانهاؤا عن المنكر وإن لم تنتهوا عنه كله".

ب- مراعاة اللياقات الاجتماعية:

وهذا الأمر لا بد منه في الكلام والتصرفات المرافقة لعملية الأمر والنهي؛ فخطاب الصغير يختلف عن خطاب الكبير وتفاوت طبقات الناس ومستوياتهم وأمزجتهم يفرض تفاوت اللغة والأسلوب وقد ذكرنا في الخصائص العلمية ضرورة المعرفة بتفاوت أخلاق الناس كما في الرواية، وليست هذه المعرفة إلا مقدمة علمية لأمر عملي هو مراعاة هذه الاختلافات من الخطاب إلى الأسلوب والعمل ولذا قرنت الرواية في صدر الدرس بينهما قائلة: "عارفاً بتفاوت أخلاقهم لينزل كلاماً بمنزلته".

كمنهج على ذلك ما فعله الإمامان الحسنان - عليهما السلام - وهما طفلان مع الرجل المسن الذي لاحظ عدم إحسانه للوضوء بأن طلبا منه أن يكون حكماً بينهما ليحدد أي من الإمامين وضوؤه أصح ليكتشف بنفسه أن وضوء كل منهما هو الصحيح ووضوؤه هو الخطأ فيبادر إلى الإقرار بذلك ويقبل هذا منهما - عليهما السلام -.

ت- الرفق واللفظ والرحمة:

يحتاج المؤدي لفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى فتح طريق القلب ليؤثر في المخاطب، ومن وسائل فتح هذا الطريق الرفق واللفظ والرحمة التي ترتبط بين قلب الأمر وقلب المأمور وتزيل الحواجز من طريق كلمات الأمر لتفعل فعلها في نفس المخاطب ليأتمر وينتهي في الرواية: "رحيماً لهم، رفيقاً بهم، داعياً لهم باللفظ" وقوله تعالى: (فَيَدِيمَا رَحْمَةً مِّنَ اللَّهِ لِيَذَرَ لَّهُمْ وَاَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْغَلِيظِ الْإِقْلَابِ لَازِفًا) (آل عمران/ 159)، ومن مصاديق ذلك (الرفق واللفظ) أن يكون الأمر والنهي ما أمكن بطريقة غير مباشرة وربما بدون كلام أصلاً، فيكفي أن يعطي الإنسان بعمله وسلوكه الصورة الصحيحة ليتأثر به الآخرون وقد جاء في الحديث: "كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم ليروا منكم الورع والاجتهاد والصلاة والخير فإن ذلك داعية".

وإن لم يكن الفعل مؤثراً واحتاج الإنسان إلى الكلام، فمن الرفق واللفظ اختيار الأسلوب الأمثل للتأثير فقد تكفي الكناية عن التصريح، كأن يروي الأمر الناهي لفاعل المنكر أو تارك المعروف قصة معبرة، أو يتلو آيات قرآنية وبصوت رخيم بما يكفي لسمع المعني بذلك ولو لم يكن في حالة خطاب له ليلتفت ويتعظ ويتأثر.

وإذا لجأ إلى الخطاب المباشر فعليه أن يحسن اختيار كلماته وينقيها من المنفردات كالتعبير الذي سأل الإمام زين العابدين أن يوفقه لتركه في دعاء مكارم الأخلاق "وترك التعيير" وبالتالي فإن أهم مواصفات الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر هي أن يكون لبقاً في أسلوب خطابه واضحاً في أسلوب بيانه، "لطيفاً بهم داعياً لهم بحسن البيان".

ث- الابتعاد عن المنفردات:

ومنها:

- 1- الغلظة والشدة والعصبية: في الرواية "لا يتغلظ".
- 2- المعاملة بالمثل: وهي أن يرتكب في حق من ينهاه نفس المعصية التي ينهاه عنها في الرواية "لا يكافيهم بها".
- 3- عدم الشكوى منهم: ولا يشكو منهم.
- 4- الابتعاد عن شوائب الأنانية: سواء كان ذلك في المصلحة الراجعة إلى الفعل أو الترك "فارغاً من خاصة نفسه" أي تبرئة نفسه من وجود المصلحة الشخصية له في ذلك أو استعمال العصبية "ولا يستعمل الحمية".

ويبتعد عن روح الانتقام أو الاقتصاص لنفسه من المأمور المقصود بالخطاب "ولا يغتاظ لنفسه".

ولتمام ذلك لا بد من إظهار هذه الروح بتصرف عملي يكون بشكر من يقبل أمره ونهيه، والصبر وعدم إصدار رد فعل مهين أو مؤذٍ بحق من لا يتقبل أو يتأثر بفعله أو قوله: "فإن خالفوه وجفوه صبر، وإن

واقفوه وقبلوا منه شكر". ولنا أن نقول من الجميل جدًّا أن نكون وردة ترسل عبيرها لتعطر الأجواء، لكن الأجل من ذلك أن نخلع من طريق المنجذبين أشواك الغصون.

3- الخصائص النفسية والسلوكية:

أ- التفاؤل والأمل وطرد اليأس:

صحيح أن وجوب الأمر والنهي مشروط باحتمال التأثير، ولكن هذا لا يعني أن القيام بهما على وجه الإطلاق غير مطلوب إلا مع تحقق هذا الشرط بل لا بد للإنسان أن يكون صاحب أمل وتفاؤل بإمكان تغيير الواقع إلى ما هو أحسن بحسن الظن بالآخر وعدم اليأس من بقية خير في الناس، وذلك لأن هناك أمرين نفسيين خطيرين على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

الأول هو اليأس وعدم الثقة بالقدرة على التأثير، وهذا يؤدي إلى التقصير في أداء الواجب ويفوت الفرص حيث يؤدي إلى التردد وضعف الأسلوب.

والثاني هو استعجال النتائج الذي يصيب بالإحباط سريعاً ويحول دون استكمال خطوات الأمر ليصل إلى ثمرة عمله وهذا عين قلة الصبر وضعف القدرة على التحمل.

في الرواية "صابراً على ما يلحقه" وكذلك "فإن خالفوه وجفوه صبر".

والتفاؤل والأمل مع قدرة الاحتمال والصبر هي عدة كل جهد وعمل ليثمر وينتج، ولذا علينا البحث عن نقاط الخير وخصال الحمد في الناس عليها تكون عوناً ومدخلاً إلى نفوسهم.

ب- إخلاص النية:

إن من مراتب التوحيد توحيد الله في المؤثرية والفاعلية، فالخلق محل فعله وهو المؤثر فيهم، ونحن بعملنا هذا الذي هو فريضة مقدسة نبتغي أمرين أحدهما الأجر والآخرة رؤية أثر هذا العمل والنجاح فيه، والأجر من الله وحتى تؤجر لا بد أن يكون العمل لله: "مجرداً نيته... ومبتغياً لوجهه" وحتى تؤثر لا بد أن يعيننا فيفيض على فعلنا المؤثرية من له وحده الفعل والتأثير أي الله عز وجل. في رواية مصباح الشريعة: "مستعيناً به تعالى... مفوضاً إلى الله".

ت- الخبرة السلوكية:

ومعنى ذلك أن يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد مارس عملية تهذيب نفسه لتحصل له من خلال جهاده لنفسه خبرتان، واحدة بمكائد الشيطان وتسويلاته، والثانية بالنفس ومكائدها وهواها، ليساعد بها الأمور ويعنيه على ذلك ويكون هو على جهوزية لما قد يواجه فعله من صدود الشيطان وإعراض النفس، في الرواية: "بصيراً بمكر النفس ومكائد الشيطان".

خاتمة:

إنتبه! حصن نفسك:

إن الذي يقوم بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد يتعرض لإنعكاس سلبية بسبب كثرة ما يرى من الانحرافات والسوء عند بعض الناس، حيث تسول له نفسه أو يكيد له الشيطان فيرى لنفسه درجة على

الناس ويعجب بنفسه وينظر إلى الناس نظرة استحقاق ودونية، وهذا له أثران؛ الأول إضعاف المؤثرية بالآخر، والثاني على النفس، ففي حين يعمل الإنسان على تخلص الآخرين من أمراضهم يكون قد وقع بما هو أدهى وأعظم وهو العجب والكبر.

ولعله لذلك ورد في الرواية آنفاً "بصيراً" بمكر النفس ومكائد الشيطان" ولعلاج هذه الآفة وتلافي هذا الانعكاس لابد من تذكير النفس بسوئها وبعيوبها كي لا تتعالى على المساكين ذوي المعاصي وتبتلى بمهلكة العجب ولذا قال في الرواية: "ناظراً إلى عيبه".

خلاصة الدرس:

من الخصائص التي تتعلق بالآمر بالمعروف الناهي عن المنكر:

- 1- خصائص وآداب علمية تشكل مقدمات نظرية وعلمية ضرورية لأداء الفريضة.
- 2- خصائص وآداب عملية (تتعلق بنفس أداء الفريضة من حيث تصرفات الأمر وحالاته).
- 3- خصائص وآداب سلوكية لها نحو دخالة في تقوية المؤثرية في عملية الأمر والنهي.

الخصائص العلمية:

- أ- المعرفة الشرعية.
- ب- العلم بحال المأمورين.

الخصائص العملية:

- أ- الالتزام بالمعروف وترك المنكر.
- ب- مراعاة اللياقات الاجتماعية.
- ت- الرفق واللفظ والرحمة.
- ث- الابتعاد عن المنفردات.

الخصائص النفسية والسلوكية:

- أ- التفاؤل والأمل وطرد اليأس
- ب- إخلاص النية.
- ت- الخبرة السلوكية.

المصدر: كتاب حياة المجتمع/ سلسلة الدروس الثقافية